عناصر الاختلاف بين البحوث الكمية والكيفية:

إن التطرق لأوجه الاختلاف بين البحوث الكمية والكيفية يستوجب الخوض في عدة نقاط، "فهل المناهج الكمية والكيفية تختلف عن بعضها من ناحية تقنية فحسب، أم أنّ الأمر يخفي في ثناياه تباينا في الفلسفة التي تقف وراء كل منهما؟ لعل هذا التباين بين المنهجين غير منبتّ الصلة عن الجدل الفلسفي بين المنظور المثالي والمنظور الوضعي الذي احتدم مع أواخر القرن التاسع عشر، وهو يستوجب منا التمييز بين مستويات ثلاثة تتباين من خلالها هذه التقنيات ومناهجها"[1]، تتضح في الجدول الآتي:

جدول (3): يوضح مستويات التمييز بين المدخلين الكمي والكيفي.

	المستوى الأنطولوجي (بناء فرضيات حول الواقع)	المستوى الإبستمولوجي (معرفة الواقع)	المستوى المنهجي (تحديد الأدوات الخاصّة لمعرفة ذلك الواقع)
المدخل الكمي	يتم تناول الظواهر على أساس فرضية مؤداها أن هناك حقيقة واحدة(استنادا لما أرساه المنظور الوضعي)، وأنّ الظاهرة لها وجودها المستقلّ عن نمط الإدراك الإنساني لها.	كلٌّ من الباحث والظاهرة كيانان مستقلان عن بعضهما، وهو ما ييسر بحث الظاهرة دون تأثيرٍ منها في الباحث أو تأثير من الباحث فيها، ما يجعل القياس للمتغيرات المكوّنة للظاهرة وتحديد التأثير المتبادل بين هذه المتغيرات يتمّ في إطارٍ من عدم التدخّل القيمي "Value-freeframewor".	أن أدوات التحليل الكمّي على المستوى المنهجية مقيّدة بمعادلات ونماذج رياضية أو طرق قياس وتحليل محدّدة.
المدخل الكيفي	يقوم على الفهم البنائي (Constructivism) للظاهرة؛ أي كيفية تفسير الباحث الظاهرة أو تأويلها (Interpretivism)، والذي يأخذ مسارًا محدّدا، وعليه، فإنّ هذه المناهج تقوم على المستوى الأنطولوجي على افتراض مستويات متعدّدة للواقع تتحدّد	إنّ المناهج الكيفية لا ترى انفصالا بين الباحث والظاهرة، فكلٌّ منهما يترك آثاره في الآخر، ولا تنفصل نتائج البحث عن خلاصة ذلك التأثير المتبادل بين الباحث وظاهرته.	عند تحديد أدوات البحث فإنّ المناهج الكيفية تكون معنيّةً بالمعنى، ولذا فهي توظّف ما يساعدها على ذلك من أدوات، وحتى عند أخذ عيّنةٍ من الظاهرة في المناهج الكيفية، فإنّ الأمر لا يعدو إلا توظيفًا لتوليد الأسئلة لا للاستناد لأجوبة

[1]. وليد عبد الحي: المرجع السابق.

	طبقًا لإدراك الباحث ذلك الواقع، وهو ما عبر عنه البنائيون بالقول إنّ الواقع مبنيٌّ اجتماعيا (Socially constructed)، ولذلك هو في حالة تغيٍّر دائم.		العيّنة.

المصدر: [2]

1- من حيث المنطلقات النظرية والفلسفية:

يتضح من خلال العرض السابق للمنطلقات النظرية والفلسفية لمناهج البحث العلمي، أن المدرسة الوضعية الوظيفية تقدم لنا منطلقات البحث الكمي الذي يعتمد على إدراك الحقائق وتفسيرها تفسيرًا منطقياً من أجل التوصل إلى قوانين حاكمة وتعميمات، وتعتمد في سبيل الوصول إلى ذلك على أدوات مثل الاستبانات، والاختبارات، وطرق التحليلات الإحصائية، للوصول إلى بيانات كمية للبرهنة على علاقات أو متغيرات محددة إجرائياً، أما المدارس النقدية والظاهراتية والتفسيرية فتقدم منطلقات ابستمولوجية وفلسفية مختلفة، حيث ترى أن دور المناهج الكيفية هو فهم الخبرة الإنسانية من خلال المواقف الاجتماعية اليومية، وتهتم هذه المناهج بالتفسير والفهم الإنساني للظاهرة من الداخل، حيث يعتمد الباحثون الاثنوغرافيون مثلا على طرق بحثية تعتمد الملاحظة والمقابلة والوثائق الشخصية والمعايشة المطولة، للوصول إلى بيانات اثنوغرافية – وصفية – كيفية، من أجل رؤية العالم كما يراه المشاركون في الخبرة الإنسانية موضوع الدراسة.[3]

2- من حيث المبادئ العامة:

وفي هذا الإطار تشير الدكتورة وسيلة بن ساهل إلى أن التوجه الكمي يقوم على مجموعة من المبادئ، هي:

- على الباحث اكتشاف الحقيقة الخارجية والقوانين التي تحكمها، من خلال نظرة حتمية تفرض عليه الاعتماد على المعطيات الكمية والنماذج السببية الكمية.
- مجابهة النظرية بالواقع: النظرة تبسيطية نظرا لتركيز الاهتمام على التقنية على حساب المعنى والمضمون.
- مهمة الباحث: البحث عن التفسير وعن الأسباب من اجل اكتشاف القوانين الخارجية عنه والربط بينها.

في حين تشير إلى أن التوجه الكيفي يقوم على مبادئ أخرى مختلفة عن تلك التي يقوم عليها التوجه الكمي، وهي:

- فهم المعنى الذي يقدمه الأفراد للحقيقة (التفسيرات التي يقترحها الأفراد لسلوكياتهم وأفعالهم).

---

[2]. المرجع نفسه.

[3]. فهد بن سلطان السلطان: المرجع السابق.

- يتفاعل الباحث مع الأفراد المندمجين في الظاهرة (الحقيقة مبنية من خلال عملية البحث عن المعرفة).
- صحة المعرفة تأخذ الطابع القيمي "Validité éthique".
- يقل التركيز على التقنية ويرتكز الاهتمام على المعنى (الفهم الشمولي لديناميكية الظواهر).
- منطق التأكيد التدريجي للقوانين حسب "Carnap ".[4]

3- من حيث كيفية التعبير عن البيانات:

يقوم البحث الكيفي على النتائج والمعطيات غير الكمية، فهي لا تعتمد على القياس الكمي، ذلك أنه في البحوث الكيفية يتم التركيز على التعمق في دراسة الموضوع من خلال جمع بيانات شاملة ومتنوعة/ عميقة عن جوانبه المختلفة، وأوجهه المتعددة، لذا تتصف بالتعمق والشمول في دراستها بالتفصيل مهما كانت أبعاد الموضوع متعددة وتتصف بالتعقيد والتشابك، ومما يساعد على التعمق والشمول أن البحث الكيفي يتصف بمحدودية النطاق (حالة واحدة أو مقابلات مع عدد محدود من الأفراد)، لذلك يرتكز على دقة الوصف والشرح والتحليل والتعبير عن الرأي القائم على الأدلة، ولذلك لا تتطابق النتائج للباحثين في تناول الموضوع الواحد، وهذا يعني أن هناك منظورات متعددة في البحوث الكيفية للموضوع الواحد، وأن التعبير عن ذلك لا يخلو من الذاتية، فليس هناك مجال للحقيقة الواحدة أو الحقيقة القصوى في هذا النوع من البحوث.[5]

أما البحث الكمي فيعنى بجمع البيانات من خلال استعمال أدوات قياس إحصائية يتوافر فيها الصدق والثبات، ويجري تطبيقها على عينة من الأفراد تمثل المجتمع الأصلي ، ومن ثم معالجة البيانات بأساليب إحصائية تقود في النهاية إلى نتائج يمكن تعميمها على المجتمع الأصلي، وهو مجموع الدرجات المتحصل عليها من خلال الإجابة على فقرات مقياس هذا المفهوم.[6]

4- من حيث الغرض من البحث:

تأتي أولويات البحوث الكيفية في تحقيق فهم أفضل للموضوعات والظواهر، وذلك من خلال الاستكشاف أو الوصف الدقيق والشرح المتعمق، أما البحوث الكمية فإن أولويات أغراضها تتمثل في الوصف والتفسير والتعميم على أشخاص أو مواقف.[7]

حيث أن الهدف الأساسي والجوهري للمنهجية الكيفية في البحوث السوسيولوجية هو الفهم، من خلال:[8]

---

[4]. وسيلة بن ساهل: المرجع السابق.

[5]. بركات عبد العزيز: المرجع السابق.

[6]. سيدي عابد عبد القادر: المرجع السابق.

[7]. بركات عبد العزيز: المرجع السابق.

[8]. إيناس بوسلحة وبن عيسى محمد المهدي: المرجع السابق.

- فهم ذاتية المبحوثين سواء للمعاني التي يعطونها لحياتهم اليومية وأفعالهم فيها أو للظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تحجب عنهم الوعي الحقيقي والكيفية التي يعيشونها في تعاملاتهم في المجتمعات ما بعد الحداثة في المجتمعات الغربية المعاصرة.
- التأويل وفق ذاتية الباحثين لما فهموه من المبحوثين من خلال عملية البحث.

5- من حيث طبيعة العملية البحثية:

تتصف البحوث الكيفية بالمرونة إلى حد كبير، بمعنى أنها أقل التزاما بقواعد محددة سلفا، وقد تستخدم إجراءات لم تكن في تخطيط البحث، وإنما اقتضتها عملية جمع البيانات أو تحليلها أو تعديل أهداف الدراسة، وفي كثير من البحوث الكيفية فإن إجراءات العملية البحثية تتطور/تتغير على امتداد فترة الدراسة، فقد يقوم الباحث بتحليل المحتوى بالرغم من أن ذلك لم يكن واردا في تخطيط مشروع البحث. في حين تكون هذه التغيرات أو التطورات نادرا ما تنطبق على العملية البحثية في الدراسات الكمية التي تلتزم بخطوط أو قواعد مسبقة مقننة بعناية، فالمفاهيم والمتغيرات والفروض وأدوات جمع البيانات في البحوث الكمية تكون محددة سلفا بدقة، وفي العادة تظل هذه الأمور كما هي على امتداد البحث الكمي ويتم اتخاذ الإجراءات المسبقة التي تضمن الموضوعية وعدم تدخل الذاتية في عملية البحث.[9]

6- من حيث نظام العينات:

يتم الاعتماد في البحوث الكيفية على عينات صغيرة أو حالات قليلة لدراستها دراسة متعمقة، ليس بهدف التوصل إلى تعميمات ولكن بهدف شرح الموضوع ووصفه بعمق من أجل تحقيق فهم أفضل له. وفي البحوث الكمية يتم تطبيق الأدوات على عينات كبيرة تمثل المجتمع الأصلي، وقد تطبق على المجتمع كله إذا كان محدودا، بحيث يتيح هذا التطبيق معطيات كمية (أرقام وإحصاءات) يتم تفسيرها، ولا يمكن في ظل البحوث الكيفية اختيار عينات كبيرة الحجم حيث يكون عدد المفردات التي يجرى عليها التحليل قليلاً، ولا يتم اختيار عينات عشوائية في مثل هذه الحالات، بل يختار الباحث الأفراد القادرين والراغبين في تزويده بالمعلومات والذين يثق فيهم الباحث، أو الذين يعتبرون رواداً في مجال تخصصهم ولديهم معرفة خاصة عن الظواهر محل الدراسة.[10]

فالمناهج النوعية لا يحتاج إلى المقارنة المباشرة، تهتم أكثر بدراسة المجتمعات صغيرة الحجم المحددة زمانيا ومكانيا كدراسة مسار حياة شخص مصاب بداء السرطان أو تجربة حياة لسارق محترف في حي معين، الباحث في هذه الحالة يهتم بالأفراد حالة بحالة أي البحث عن الخصوصية في مقابل التعميم الذي تهدف إليه المناهج الكمية.[11]

7- من حيث طرق جمع البيانات:

---

[9]. بركات عبد العزيز: المرجع السابق.

[10]. عادل محمد ريان: المرجع السابق.

[11]. حجال سعود وشويمات كريم: المرجع السابق.

تعمل البحوث الكيفية بموجب افتراض أن الواقع أو الموضوع المراد بحثه لا تتم تجزئته في متغيرات مجردة يمكن قياسها، وإنما يمكن وصفه وشرحه بتفاصيله الدقيقة ضمن سياق عام من خلال الاندماج فيه ومعايشته وجمع معلومات عنه في الظروف أو البيئة الواقعية، ويعبر الباحثون عن رؤيتهم الذاتية وتجاربهم الميدانية. الوضع يختلف إلى حد كبير في البحوث الكمية، حيث يبلور الباحث عددا محدودا من المتغيرات المطلوب دراستها، ثم يحدد أدوات مقننة لقياس تلك المتغيرات كميا، والاهتمام بتوافر معايير الثبات والصدق في تلك الأدوات بحيث تكون صالحة لجمع البيانات التي تتعلق بمتغيرات الدراسة فقط.[12]

9- من حيث تحليل وعرض البيانات:

تحلل البحوث الكيفية البيانات وتعرضها بحيث تصف الاتجاه العام أو السائد بتفصيلاته المتعمقة (وليس بمؤشراته وخصائصه الكمية)، ويتضمن هذا الاتجاه السائد العديد من الاستنتاجات والاستدلالات، مع إبراز التفاصيل والاستشهادات في صورة غير رقمية. أما في البحوث الكمية يتم تحليل البيانات بناء على خطة إحصائية بما يتيح معطيات كمية كثيرة، يتم اختزالها وتنظيمها في جداول تتضمن نتائج كمية ومعايير ومعاملات إحصائية توضح الدلالات الإحصائية لهذه النتائج.[13]

10- من حيث معايير الصدق والثبات:

يرى" كابلان "Kaplan " بأن هناك ثلاثة مظاهر كأساس للتفرقة بين المنظورين الكمي والكيفي: التفسير /الفهم"، "الخصائص /الذوات"، "التجريد مقابل التحديد" (المجرد/ المحسوس). كما يمكن، عادة، تقدير هذه التفرقة بمعرفة مدى قربنا أو بعدنا من الباراديغم الوضعي، ومن استخدام لغة الحساب والرياضيات، وهناك بعض الأسئلة جديرة بالطرح، منها :هل الظاهرة المراد دراستها قابلة للقياس الكمي، ومن خلال مؤشرات إجرائية؟ وهل المعلومات التي نحصل عليها بهذه الطريقة دقيقة وصادقة وثابتة؟ ... فإذا كان من الممكن الإجابة على هذين السؤالين إيجابيا، فمن المرجح أننا سنكون بصدد بحث كمي، ولذلك، يمكن القول أن معايير الصدق أو الصلاحية "Validity/ Validité " والثبات " Reliability/ Fiabilité " هي في الأصل خاصة بالبحوث الكمية، لكن هذا لا يعني أن البحوث الكيفية مجردة تماما من أدنى درجات الموثوقية والقوة العلمية، بل هي كذلك تتوخاهما في حدود طبيعتها الكيفية، فافتراضاتها الفلسفية والنظرية تستلزم معايير مختلفة لتقييم نوعيتها وصدقيتها، كما أن مدى صرامتها يعتمد على الانسجام بين الأهداف البحثية ومنطلقاتها الباراديغمية (التأويلية، والتفاعلية الرمزية...) وذلك بالتركيز، في آن واحد، على مكونيْ موضوع البحث (الباحث والمبحوث /الفاعل الاجتماعي) وبالبناء التعاوني للمعرفة.[14]

---

[12]. بركات عبد العزيز: المرجع السابق، ص: 485.

[13]. بركات عبد العزيز: المرجع السابق، ص: 486.

[14]. فضيل دليو: المرجع السابق، ص: 85.

ولذلك ترتبط معايير الصدق والثبات ارتباطا وثيقا (نظريا وإجرائيا) بالبحوث الكمية نتيجة حاجتها الماسة لها، لذلك فهي ملازمة لها دائما وتستجيب عادة لمبادئ المدرسة الوضعية (Positivism) في العلوم الاجتماعية، ومنها: القابلية للتحكم، والتكرار، والتنبؤ، والملاحظة، والتجزئة، والعزل عن السياق وعن الذات الباحثة.[15]

مثال تطبيقي عن الفرق بين البحوث الكمية والبحوث النوعية:

file:///C:/Users/pc/AppData/Local/Temp/2QualitativeQuantitativeBouJaoude-1.pdf

[15]. المرجع نفسه.